العرب
الإثنين 2021/11/01
السنة 44 العدد 12227

عين الهند على دور في الشرق الأوسط

نيودلهي تؤسس لشراكات سياسية واقتصادية مع واشنطن وحلفائها في المنطقة

واشنطن تدعم حضورنا في الشرق الأوسط

ينظر المحللون إلى رباعية الشرق الأوسط الجديدة التي تأسست خلال الشهر الماضي وتجمع بين الولايات المتحدة والهند وإسرائيل والإمارات العربية المتحدة على أنها جزء من الجهود المبذولة لإعادة ترتيب النظام الإقليمي وتوازن القوى، ومن جهود نيودلهي التي كان لها حضور كبير في الشرق الأوسط تاريخيا، للعب دور أكبر في المنطقة حيث تعود إلى دور أكثر بروزا بما يتماشى مع موقعها الجغرافي وأهميتها الاقتصادية ومصالحها السياسية.

واشنطن – عندما شكلت الولايات المتحدة والهند وإسرائيل والإمارات العربية المتحدة مجموعة عمل مشتركة جديدة للتنسيق الاستراتيجي خلال أكتوبر الماضي وضع تلاقي أربع دول مقارنات مع الحوار الأمني الرباعي بين الولايات المتحدة واليابان وأستراليا والهند.

ويقول الباحث الهندي سي. راجا موهان في تقرير لمجلة فورين بوليسي الأميركية إن بعض الوقت سيمر بالتأكيد قبل أن تصل رباعية الشرق الأوسط الجديدة، والتي لا تزال مجرد مجموعة عمل بين وزراء الخارجية حتى الآن، إلى شدة وعزيمة نظيرتها الشرقية التي عقدت بالفعل قمتين للزعماء هذا العام.

لكن الحوار الأمني الرباعي بدأ أيضا كممارسة متواضعة بين كبار المسؤولين في 2007. وأشار وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن إلى المصالح المتداخلة بين البلدان الأربعة في "الطاقة والمناخ والتجارة والأمن الإقليمي" كهدف للرباعي الجديد. وقال إن الشكل الجديد سيعزز "القدرات التكميلية في العديد من المجالات" لإنجازات جديدة في الشرق الأوسط.

سي. راجا موهان

رباعية الشرق الأوسط الجديدة تتويج لسياسة الهند

ويجعل إدراج الهند هذه المجموعة مميزة. وقال وزير الخارجية الهندي إس جايشانكار في تصريحاته لمحاوريه في الاجتماع الأول إن علاقات بلاده مع الدول الثلاث "من بين أقرب العلاقات لدينا، إن لم تكن الأقرب".

شريك مرحب به

يقول راجا موهان إن اعتبار الهند الولايات المتحدةَ وإسرائيل والإماراتَ من بين أقرب شركائها الاستراتيجيين، وكونها على استعداد للاعتراف بذلك علنا وبقائها مستعدة للعمل مع هذه البلدان في المنطقة، يعدّ انعكاسا لمدى تحول سياسة الهند الخارجية في الشرق الأوسط؛ فلطالما كان ابتعاد الهند عن الولايات المتحدة وإسرائيل ودول الخليج في ما يتعلق بالقضايا الإقليمية هو الوضع الطبيعي في الشرق الأوسط.

ومن المثير للاهتمام أيضا تطلع واشنطن وتل أبيب وأبوظبي إلى بناء شراكة مع نيودلهي، والتي لطالما كانت هامشية في تطورات الشرق الأوسط. وأصبحت الهند التي تتسع بصمتها في السياسة الخارجية الآن شريكا مرحبا به للولايات المتحدة وحلفائها الإقليميين.

ويمثل التجمع الجديد في الشرق الأوسط التقارب المتزايد بين المصالح الهندية والأميركية في آسيا. وتبدو نيودلهي التي وقفت في الماضي ضد سياسات واشنطن في شرق آسيا والشرق الأوسط مستعدة الآن للعمل معها لتحقيق الاستقرار في المنطقتين. وإذا ظهرت الحاجة إلى تحقيق التوازن في الصين باعتبارها الصمغ الذي يربط الرباعية معا في شرق آسيا، فإن الوضع يبقى أكثر تقلبا وتعقيدا في الشرق الأوسط؛ حيث لا تبحث الولايات المتحدة عن مستفيدين غير فاعلين ضمن مظلتها الأمنية بينما تعيد تشكيل تحالفاتها وتعيد ترتيب أولوياتها العالمية. وهي تريد شركاء راغبين في مشاركتها مثل هذه التوجهات وقادرين على ذلك، وتبرز الهند على رأس القائمة.

وقدّم التحول السريع في علاقات الهند مع إسرائيل والإمارات (وهما حليفان رئيسيان للولايات المتحدة في المنطقة) تحت قيادة رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي أساسا جديدا للمشاركة بين الدول الأربع؛ فبعد أن سهّلت واشنطن اتفاقات أبراهام لسنة 2020 جذبت واشنطن الهند إلى ما يسميه البعض بالفعل "الاتفاقات الهندية الإبراهيمية".

ويقول راجا موهان إن إضافة الولايات المتحدة للهند إلى شبكتها من الحلفاء والشركاء الآسيويين تعدّ بالنسبة إليها نهجا جديدا وغير متوقع لتعزيز مكانتها في المنطقة. لكن المنظور طويل المدى يشير إلى شيء آخر يتعلق بمنطق جغرافية الهند؛ ويوحي إلقاء نظرة خاطفة على الخارطة ببروز الهند الطبيعي في كل من شرق آسيا والشرق الأوسط. وتبدو البلاد، بصفتها قوة رئيسية في نقطة ارتكاز آسيا وسط المحيط الهندي، في وضع جيد لتشكيل النتائج الجيوسياسية في كلا المنطقتين.

وتستعيد الهند دورها التاريخي في شرق آسيا والشرق الأوسط من خلال العودة إلى المنطقتين؛ حيث لعبت الهند المستعمرة دورا رئيسيا في الهيمنة البريطانية على المحيط الهندي والمناطق المجاورة لها حتى منتصف القرن العشرين. ووفرت القاعدة التي أمكن لبريطانيا من خلالها السيطرة على إمبراطوريتها والدفاع عنها، وتعزيز عولمة المنطقة، والحفاظ على نظام أمني إقليمي. وقدمت الهند الموارد العسكرية لبريطانيا لتحقيق الاستقرار في أجزاء كبيرة من آسيا.

ونشهد في الوقت الراهن إعادة إنشاء تلك الروابط بين الهند والقوة الغربية المهيمنة اليوم (الولايات المتحدة) من قناة السويس إلى بحر الصين الجنوبي. ولكن على عكس الحقبة الاستعمارية عادت الهند إلى المنطقة كعنصر فاعل مستقل له سياسة خاصة به. وتتفاوض من نيودلهي على تعاون الهند مع الولايات المتحدة، على عكس ما كان قائما في ظل استعمار البريطانيين؛ حيث لا تساعد الهند في دعم إمبراطورية دولة أخرى وإنما تعمل على تعزيز مصالحها في المنطقة.

سياسات متغيّرة

كانت سياسة الهند الخارجية في الشرق الأوسط مدفوعة بالحاجة إلى النأي بنفسها عن تراث الاستعمار البريطاني. وتعمّدت الهند التخلّي عن دورها الأمني في المنطقة وعن دورها المركزي في العولمة الاقتصادية في المحيط الهندي.

ووضعت الهند المستقلة نفسها ضد تحالفات ما بعد الحرب مثل حلف بغداد (سينتو)، حين كانت واشنطن تهدف إلى احتواء الاتحاد السوفييتي على جانبه الجنوبي وملء الفراغ الذي نشأ عندما انسحب أول رئيس وزراء للهند بعد الاستقلال جواهر لال نهرو من السياسة الأمنية في المنطقة. وفي المقابل كانت باكستان عضوا مؤسسا لسينتو إلى جانب إيران والعراق وتركيا وبريطانيا، لكنها لم تستطع شغل مكان الهند غير المقسمة، ولم يدم الحلف طويلا.

وكانت أمام الهند نافذة زمنية وجيزة لإعادة النظر في إحجامها عن أن تكون مزودا للأمن الإقليمي في 1968، عندما أعلنت بريطانيا أنها ستنسحب من معظم مناطقها الاستعمارية شرق السويس. ومع ذلك كافحت نيودلهي للتوفيق بين أيديولوجيتها الخاصة بعدم الانحياز ومصالحها الأمنية في المحيط الهندي.

ولجأت بعض دول الخليج، التي اعتمدت جميعها على بريطانيا لضمان أمنها، إلى الهند للتعاون الدفاعي إثر استقلالها. ووقعت الهند على بروتوكول ثانوي بشأن التبادلات العسكرية مع عمان في 1972 لكنها لم تكن مستعدة للتدخل. وبدلا من ذلك كان نهرو ومن خلفوه متمسّكين بقضايا العصر الأيديولوجية الكبرى، بما في ذلك راديكالية العالم الثالث، ومناهضة الاستعمار، ومعاداة الصهيونية، واحتضان القضية الفلسطينية، والقومية العربية. ولا تتناسب المساهمة في نظام الأمن الإقليمي مع أي من هذه النماذج.

وبينما أكد قادة الهند الجدد على الاكتفاء الذاتي وتحوّل اقتصاد البلاد إلى الداخل، قطعت نيودلهي روابطها الاقتصادية القديمة مع الشرق الأوسط. وعلى الرغم من أن واردات النفط المتزايدة وتصدير العمالة الهندية إلى الخليج عززت بدايات تكامل أعمق بين الهند والخليج، إلا أن نهج نيودلهي ظل تجاريا وليس استراتيجيا.

وتشكل رباعية الشرق الأوسط الجديدة من نواح كثيرة تتويجا للبراغماتية الأكبر في سياسة الهند الخارجية. كما تسلط الضوء على تخلص نيودلهي الناجح من الهواجس الأيديولوجية السابقة التي حدت من ارتباطها بالمنطقة. ولم يكن هذا ليحدث لولا ترويج الولايات المتحدة اتفاقات تطبيع العلاقات بين إسرائيل والإمارات والدول العربية الأخرى.

ويرى راجا موهان أن التركيز الأولي لرباعية الشرق الأوسط سيكون على القضايا الاقتصادية وليس على القضايا الاستراتيجية. وهناك الكثير من التقاربات بين السوق الهندية ورأس المال الإماراتي والتكنولوجيا الإسرائيلية والنفوذ الجغرافي – الاقتصادي الأميركي في المنطقة. وأحيت الهند مؤخرا مفاوضات التجارة الحرة مع الإمارات وإسرائيل لتحقيق هذه الغاية. وأصبحت الولايات المتحدة أهم شريك اقتصادي للهند.

ووعد جايشانكار ونظراؤه بوضع أجندة ملموسة وعملية للمجموعة الجديدة بسرعة. ويعني مستوى الراحة السياسية بين الحكومات الأربع أن رباعية الشرق الأوسط من المرجح أن تتقدم بشكل أسرع من الحوار الأمني الرباعي بعد إطلاقه في 2007، عندما بقي شبه ميت قبل إحيائه بعد أكثر من عقد من الزمن.

وفي حين أن الحوار الأمني الرباعي بدأ بتركيز أمني وانتقل منذ ذلك الحين إلى جدول أعمال أوسع، أعطت مجموعة الشرق الأوسط الأولوية للمواضيع غير العسكرية. ورغم ذلك لا يقلل هذا من توسيع التعاون الدفاعي الثنائي الهندي مع الولايات المتحدة وإسرائيل والإمارات.

ويقول المحلل الهندي إن ذلك قد يؤدي إلى تنسيق استراتيجي أكبر بين الشركاء الأربعة في المنطقة على المدى الطويل. وفي نفس الوقت لا تمنع مجموعة الشرق الأوسط أيا من أعضائها من التعاون مع الآخرين في المنطقة. ومن المؤكد أن الولاءات الجديدة ستظهر مع عودة الخصوم التقليديين في الشرق الأوسط إلى إقامة علاقات مع بعضهم البعض وسط التغيرات الجيوسياسية الكبيرة في المنطقة.

سجل أردوغان يفرض تغيّرا في استراتيجيات بايدن مع تركيا

واشنطن – تغيّر التعاطي الأميركي مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، فبعد أن كان على ودّ مع رؤساء سابقين يشيدون بسياساته مثل جورج دبليو بوش وباراك أوباما، دخل منذ عهد الرئيس السابق دونالد ترامب في توترات تفاقمت مع وصول الرئيس الجديد جو بايدن، الذي يرى محللون أنه أخطأ حين تغافل عن دبلوماسية نظيره التركي في مقابل التعاون المشترك بين البلدين.

ويقول مايكل روبين، الباحث المقيم بمعهد "أميركان انتربرايز"، في تقرير نشرته مجلة "ناشونال إنتريست" الأميركية، إنه عندما تولى بايدن منصبه، أدرك حقيقة أردوغان، وبدا أنه مصمم على حرمان الرئيس التركي من الاستفادة من مبرر الشك. فعلى سبيل المثال جرى أول اتصال هاتفي بين بايدن وأردوغان بعد مرور 93 يوما من ولاية بايدن، وهو تجاهل كان ملحوظا من جانب المواطنين الأتراك. وللأسف فإنه رغم تجنب بايدن وفريقه الإشادة بسياسة أردوغان التي لجأ إليها أسلافه، فإنه وقع في الكمين بقبول عروض التعاون التركي على محمل الجدّ.

فبعد أن أصبح واضحا أن بايدن سوف يواصل حملته لمغادرة أفغانستان، اقترح أردوغان أنه من الممكن أن تتولى تركيا إدارة العمليات في مطار كابول. وكانت هذه الخطوة في مصلحة تركيا. فطوال أكثر من عقد من الزمان قبل تولي أردوغان منصب رئيس الوزراء، رسخ علاقات وثيقة مع الإسلاميين الأكثر تشددا في أفغانستان. وحتى مع احتدام تمرّد طالبان، أوضح أردوغان أنه لا يحمل أي عداء أيديولوجي تجاه الحركة.

وأضاف روبين المتخصص في بحث شؤون إيران وتركيا والشرق الأوسط الكبير أنه سواء غادرت القوات الأميركية وقوات دول حلف شمال الأطلسي (الناتو) أم لم تغادر، فإن تركيا أوضحت أن استثماراتها ووجود رعاياها سوف يستمر، حتى مع عودة الكثير من قواتها إلى البلاد. وببساطة، كانت لتركيا مصلحة مالية في الإبقاء على المطار مفتوحا. كما أن أردوغان وجد فرصة للتفوق على بايدن في صفقة دبلوماسية.

وأوضح أردوغان قائلا "نريد أن تلبي واشنطن بعض الشروط.. أولا، سوف تقف إلى جانبنا في العلاقات الدبلوماسية. وثانيا، سوف تحشد وسائلها اللوجيستية لصالحنا... كما أنه ستكون هناك مشكلات جادة بالنسبة إلى القضايا المالية والإدارية، ومن الضروري أن توفّر الدعم اللازم لتركيا".

ويرى روبين أنه في واقع الأمر، كان أردوغان يريد من بايدن أن يدعمه في اغتصابه المستمر للأراضي وفي حملات التطهير العرقي التي يقوم بها ضد الأكراد والإيزيديين. كما أنه سعى إلى أن يتدخل فريق بايدن لدى السلطة القضائية الأميركية، لعرقلة قضايا انتهاك العقوبات وقضايا الاعتداء ضد تركيا ووكلائها. وأراد أردوغان جمع تنازلات أميركية لسياسة ستتبعها تركيا رغم كل شيء.

وفي نهاية المطاف تقدمت قطر للمساعدة بالنسبة إلى المطار في كابول، ولكن استعداد بايدن للنظر في عرض تركيا، وتردد وزارة الخارجية الأميركية في مساءلة تركيا أثناء المفاوضات، أكدا استراتيجية أردوغان.

ومؤخرا، نشر مراد مرجان أحد الموالين لأردوغان منذ وقت طويل، والذي عينه سفيرا لتركيا لدى الولايات المتحدة مقالا افتتاحيا يؤكد هذه الاستراتيجية بدرجة كبيرة.

وقال مرجان "إن تركيا هي مركز شبكة من خطوط الصدع في أنحاء منطقة يورو آسيا الكبرى.. وتعتبر الحليف الذي يعتمد عليه في وقت الأزمات، فهي الصديق وقت الضيق... ويجب أن تعمل تركيا والولايات المتحدة معا".

واعتبر السفير التركي بوجه خاص أن بوسع تركيا "حشد دعم شعبي لجهود تحقيق الاستقرار، والجهود المرتبطة بالأمن، مثل الجهود التي تبذل في ليبيا وسوريا".

ويشير الباحث الأميركي إلى أنه في المقابل، كل ما تحتاجه تركيا هو تقدير الولايات المتحدة وتفهمها لذلك، وينبغي التفكير في ما يعنيه ذلك. ففي سوريا، قدمت تركيا الدعم اللوجيستي، والأسلحة والملاذ الآمن ليس فقط للجماعات المرتبطة بتنظيم القاعدة ولكن أيضا لداعش. ورغم أن المسؤولين الأتراك يبررون تصرفاتهم بمواجهة الإرهاب الكردي، تشير الأدلة إلى أن الإرهاب يسير في اتجاه آخر: فمن يعملون بالوكالة لصالح تركيا يهاجمون بانتظام الأكراد ويخطفون النساء ويغتصبونهن، بينما نادرا ما تفرق الطائرات التركية المسيرة ما بين المسلحين وأطفال المدارس.

مايكل روبين

على بايدن إدراك حقيقة دبلوماسية أردوغان

ويؤكد روبين أن تمكين تركيا لداعش هو الذي أرغم الولايات المتحدة على إقامة علاقات مع الأكراد في سوريا أساسا، مما أدى في نهاية المطاف إلى انتصار تركي في حصار عين العرب (كوباني). وسوف يعني توصل الولايات المتحدة إلى حل وسط مع تركيا في سوريا تمكين النشاط المسلح وإضعاف الاستقرار والأمن في أنحاء المنطقة. وبمعنى آخر، فإن الثقة بتركيا تماثل الثقة بالصين بالنسبة إلى تايوان. وبالإضافة إلى ذلك فإن خيار واشنطن في سوريا ليس مجرد خيار بين أردوغان وبشار الأسد؛ إذ أن الأكراد يمثلون مسارا ثالثا.

وفي ما يتعلق بليبيا أوضح أن هناك إجماعا واسع النطاق في المجتمع الدولي على أن أفضل مسار لتحقيق تقدم يتمثل في انسحاب كل القوات الأجنبية من ليبيا. ورغم أن أوروبا على استعداد لدعم هذا الطلب، سعت وزارة الخارجية الأميركية مرارا وتكرارا للتخفيف من انتقاد التدخل التركي في ليبيا.

وشدد المحلل الأميركي على أن سجل تركيا يكذّب صدق أردوغان، وأنه بدلا من معاملة مبادرات أردوغان على أنها صادقة، حان الوقت لأن تدرك إدارة بايدن حقيقة دبلوماسية تركيا: إنها محاولة ذاتية لتجنب المساءلة عن السياسات التي يعتبر أردوغان ملتزما أيديولوجيا بمواصلتها.

ملتزم بدبلوماسية تتحدى واشنطن